إطلالة على دلالة (المرض) انطلاقاً من الخطاب القرآنيّ

أ.م.د. السيدة سمية الخاتمي م. د. السيد جواد الخاتمي

جمهورية إيران الإسلامية / جامعة الحكيم السبزواري

الملخص:

نصادف اليوم في ثقافتنا الاسلامية، انساناً قد استقى رؤية للكون من معين كماله المتكامل، مجتازاً مدارج التعالي والسمو على صعيد الارض. على هذه الفكرة؛ فإن المفردات والتعابير تأخذ لنفسها معنى مستحدثاً وعميقاً. وترمي هذه المقالة إلى تسليط الضوء على احد أهم المفاهيم شيوعا وهو المرض. هل هناك آيات ذات صلة بالمرض في القرآن الكريم وإذا كان الأمر كذلك، فبأي نوع من المرض تتعلق– ؟ وإلى كم نوع تنقسم؟ ولم وردت في القرآن الكريم؟ و ما موقف الله تعالى من هذه الام–راض ؟ وهل سيقع صاحب هذه الأمراض موضعاً للعناية من جانب الله وتوددة؟ او سيتعرض للعذاب ؟...في أي منها سيتعامل معه ثوابا و في أىّ منها عقاباً. وأخيراً فمن أين تأتي أهمية هذه الاسئلة. عليه، فقد تناولنا، جذور احد أهم الكلمات الأكثر عموماً – وهي مادة (م. ر. ض) – ومشتقاتها، بالدراسة المستفيضة. تبلغ الآيات المتعلقة بها حوالى ثلاث وعشرين آية وهي نوعان: الأول: الآيات التي تشير إلى المرض، بلفظ "المرض والمرضى". والآخر: هو الآيات التي تشير اليه بلفظ "المرض". انطلاقاً من دراسة هذه الآيات دلالياً، توصلنا الى عدة نتائج، منها: أنّ الأمراض النفسيّة والقلبيّة يكتنفها التوبيخ والغضب، وهذا الأمر بدوره يقتضي من المرء الاسراع إلى معالجتها مباشرة.

الكلمات المفتاحية: القرآن، الاحاديث ، المريض ، المرض.

A Review of the Concept of Sick Person in Islam

Asst. Prof. Dr. Javad Khatami Asst. Prof. Dr. Somayeh Khatami

Islamic Republic Of Iran / Al - Hakim sabzawari University

Abstract:

In the Islamic culture, we face a human whose life is only limited to spending phases of germinal, infancy, childhood, youth and old age. With this approach, the words and concepts find deep and new form. This article attempts to deal with one of the most common concepts in human's life, i.e. disease in view of Islam while responding to questions put forward in this regard. For this purpose, the root of the word disease in Arabic (i.e. Maraza) and its derivatives were studied in all the Quranic verses (Muslim Holy Scripture). There are two kinds of Quranic verses (totally amounting to 23 verses) which refer to the disease with "Mariz" or "Marza". Examining verses which refer to the "disease" derived from the word root "maraza" and studying their characteristics lead us to the interesting results and considerable findings. In the first category, the diseases of the body, Allah looks at sick persons with these kinds of diseases with blessing and kindness while the second category, i.e. the diseases of the heart and soul, are chastisements together with wrath which require urgent treatment. It is hoped that we will be able to elucidate the status and importance of these diseases among people through this paper. Finally .

.**Key words**: Maraza, Mariz (sick person), Quran.

المقدمة:

نواجه في ثقافتنا الاسلاميّة شخصاً لا تحد حياته بالمرحلة الجنينية، والطفولة والشباب والكهولة، بل نجده أنّ كيانه قد نشأ من الكمال المتكامل، مجتازاً التعالي والسمو على صعيد الارض. ومماته بمنزلة حياة أخرى تفوق العالم المادي هذا. انطلاقاً من هذه الفكرة تأخذ المفردات والتعابير لنفسها معنى مستحدثاً عميقاً. فإنّ الذى لفت انتباه الكثير من الناس هو الآلام والأمراض المتفشية بينهم. كلنا نجربها في حياتنا مباشرة أو غير مباشرة. إنّ كلّ من هو مسلم و يؤمن بأنّ القرآن اساس ونموذج لحياته، عليه أن يجعل برنامج حياته منطبقا على القرآن و كلام الحق البين. إنّه يريد أن يتعرّف ماذا يقول خالقه من الأمراض المتفشية، أو التي اصابته نفسه في حياته؟ فباي مرض من الأمراض يتعلق؟ ولم انعكست في القرآن الكريم؟ وإلى كم نوع ينقسم؟ وكيف نظر الله تعالى إلى هذه الأمراض؟ هل يكون المريض بهذه الأمراض مقرونا بمحبة الله أو عقابه؟ وهل نظر القرآن اليها مستخفاً أو محقراً وأخيراً، اي منها وقع موضعا لعناية من الله تعالى، و من ثمَّ يقتضي محاولة اكثر للعلاج؟ هذه المقالة تحاول الوصول الي الإجابة عن هذه الاسئلة.

منهجيّة البحث:

للإجابة عن هذه الاسئلة نحتاج إلى البحث عن كلمة " المرض" وما تجلى منه في الآيات والاحاديث الكريمة. عليه، فنسلط الضوء علي الآيات المتضمنة لكلمة " المرض" . نواجه في هذا الصدد في أكثر من كلمة ...لكن لمّا كانت هذه المقالة من مميزاتها الدقة والتنعم في الموضوع، فنفضل ان نتناول كلمة " المرض" الاكثر شيوعا ، بالدراسة مستفيضة. واصل هذه الكلمة من مادة (م.ر.ض). نواجه في هذه الدراسة ثلاثاً وعشرين آية من القرآن الكريم ذات صلة بهذا الموضوع. و يمكن تقسيمها على قسمين. و من خلال مقارنة هذه الآيات بعضها مع بعض نتوصل إلى نتائج لافتة للنظر، نواجه أسئلة منها:

١- ما التشابه بين هذين المرضين، مما جعلهما الله ضمن محور واحد (المرض)؟
٢- نظراً للخلافات والافتراقات الموجودة بين هذين النوعين من المرض، ايهما له الأولوية في العلاج أكثر من الآخر؟
بعد الاجابة عن هذه الاسئلة نتوصل إلى عدة نتائج .

و من خلال الآيات الكريمة المشيرة إليها تتجلى وظيفة الفرد تجاه هذه الأمراض أكثر فأكثر.

١- دراسة الآيات التي تشير إلى المرض من خلال كلمة " المريض والمرضى".

لقد تكررت هاتان الكلمتان تسع مرات في تسع سور من القرآن الكريم. وهي تشتمل على الآيات ١٨٤ و ١٨٥ و ١٩٦من سورة البقرة والآيات ٤٣ و ١٠٢ من سورة النساء والآية ٦ من سورة المائدة و ٢٠ من سورة المزمل و ٦١ من سورة النور و ١٧ من سورة الفتح و ٨٠ من سورة الشعراء . من الآيات المذكورة نشير إلى الآية ١٨٥ من البقرة: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.»

هناك امور مشتركة في هذه الآيات:

أ- يشير الله تعالى في هذه الآيات إلى الأمراض التي تسبب المشكلات أو العوائق للفرد و ممّا يؤدّي إلى العجز عن أداء تكاليفه وفرائضه كالجهاد والصوم والصلاة ...! (امتنعنا عن الاتيان ببعض الآيات تجنّباً من الاطناب والتكرار).

ب- الآية (١٨٥ من البقرة) : تدلّ على الأحكام المتعلقة بالفرد الّذي لا يمكنه الصوم في شهر الرمضان.

ت- الآية(١٩٦من البقرة): تتعلّق بالفرد المريض الّذي لم يكن بإمكانه الصوم، بعد إصابته بالمرض فيه اثناء قيامه بمناسك الحج.

ث- الآية (٤٣ من سورة النساء): فيما يتعلّق بالفرد المريض الّذي لا يمكنه الاستفادة من الماء للتوضّؤ والغسل.

ج- الآية (٦١ من سورة النور): تعنى الآية بالشخص المريض الّذي لا يشاركه الآخرون في تناول الطعام بسبب مرضه.

ح- الآية (١٠٢ من سورة النساء) :تصدر الحكم على شخص مريض لا يمكنه أداء الصلاة و بيده السلاح.

خ- الآية: (١٧ من سورة الفتح) : ترتبط بالشخص المريض الّذي لا يمكنه مشاركة الآخرين في الحرب.

د- الآية (٢٠ من سورة المزمل): صدر فيه الحكم على من ليس بمقدوره على تلاوة القرآن والفرائض، في الليل نصفه أو أقل منه .

و في هذه الآيات، قصد الله من الاتيان بلفظ "المريض" إصدار حكم متعلق به.

ذ- الآية (١٨٥ من سورة البقرة): تتعلق بالمرضى الّذين ليس بإمكانهم الصوم. فيسمح لهم فيها بعدم الصوم في تلك الحالة و تأجيله و تأديته في يوم آخر.

ر- الآية (١٩٦ من سورة البقرة): تقول للمرضى الّذين تأخّروا عن مناسك الحج : يسمح لهم بإرسال الضحيّة ليخرجوا من الاحرام.

ز- الآية (٤٣ من النّساء): تسمح لشخص مريض، لا يمكنه الاستفادة من الماء للوضوء والغسل، بالتّيمم.

س-الآية (٦ من سورة النور): توصي الناس بمخالطتهم للمرضى في الطعام (وكان هذا الأمر، قبل الاسلام منفوراً).(العروسي الحويزي، ١٣٧٠، ج ٣، ص ٦٢٤).

ش-الآية (١٠٢ من سورة النساء): تسمح للمرضى بوضع السلاح على الارض ولاسيّما أنّهم ليست لهم القدرة على حمل السلاح في حين أداء الصلاة.

ص- الآية (١٧ من سورة الفتح): توصي المريض غير القادر على مشاركة الحرب، بعدم حضوره فيها .

ض- الآية (٢٠ من سورة المزمل): تجوز للشخص المريض غير القادر على تلاوة القرآن و العبادة لمدة النصف أو ثلثى الليلة، أن يؤدّي منها على قدر المستطاع (مكارم الشيرازي،١٣٨٧ش، ج ٢٥ ، ١٩٩).

ط- في ضوء ما سبق، فإنّ الله تعالى لقد أصدر حكماً تخفيفياً للمرضى بخلاف غيرهم من الناس. ذلك أشبه بما يكون في الآية ١٨٥ من سورة البقرة، إذ أنّ الشخص السّليم – على اساس ما جاء فيها- مفروض عليه الصوم، غير أنّ المريض لا يقتضيه هذا الأمر. كذلك الآية ١٩٦ من هذه السورة تشير إلى ما فرض على السليم من القيام بأعمال الإحرام والتضحية، غير أنّ المريض لا يشمله هذا الأمر بتاتاً

ظ- القرائن والايحاءات في الاقسام (أ- ب- ج) تدلّنا على أمراض تتعلّق بالجسم والبدن. ولهذا السبب يخفّف من شدة الحكم عليها كما ذكر في الروايات.(فيض الكاشاني، ١٤١٥ ق،ج ١، ص ٢٢٢- الطبرسي ، ١٣٦٠، ج ٢، ص ٢١٢- الحسيني شاه عبد العظيمي ١٣٦٣، ج ١، ٣٣٨- مكارم الشيرازي، ١٣٨٧، ج ١، ص ٦٢٧- قرائتي ١٣٨٣، ج ١، ص ٥٥- راجع الآية ١٨٥ من البقرة)

٢- الآيات المشتملة على المرض بلفظ " المرض " والمشيرة إليه في ضوء التّحليل والدّراسة

لقد تكررت هذه الكلمة ثلاث عشرة مرة في القرآن الكريم و من هذه السور : (البقرة/ ١٠)، (المائدة/ ٥٢)، (الانفال / ٤٩)، (التوبة / ١٢٥)، (الحج/ ٥٣)، (النور/ ٥٠)، (الاحزاب/ ١٢و ٢٣ و ٦٠)، (محمد/ ٢٠و ٢٩)، (المدثر/ ٣١) . دونك هذه الآية نموذجاً:

«في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضاً ولهم عذابٌ أليمٌ بما كانوا يكذبون ...»

هناك ملاحظات في هذه الآيات نلحظ:

أ- لقد أشير إلى أسباب المرض في هذه الآيات كلّها. ومن الآيات المذكورة :
(البقرة / ١٠ « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُون»

لقد أصابهم المرض لأنّهم كانوا من المكذبين

(المائدة/ ٥٢)« فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَة» إنّما ساورهم من المرض والنقص ما هو إلّا نتيجة الشك في الدين وايمانهم الضعيف بالله تعالى. (قراء تي، ١٣٨٣، ج ٣، ص ١٠٥).

(الأنفال / ٤٩) : « إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هؤُلاءِ دِينُهُم»

إنّ مرضهم، سببه كان عدم إيمانهم بالله تعالى و عجبهم بأنفسهم . وزد على ذلك، أنّهم يدعون بأنّ اتكال المسلمين علي الله في الحرب ، ليس إلا إعجابهم بطقوسهم وعقائدهم الجمعيّة. ولقد جاء في القرآن الكريم إنّ اللذين في قلوبهم مرض قالوا: أنّ هولاء المسلمين قد اغتروا لطقوسهم، وعلى الرغم من عددهم القليل ومعدّاتهم الحربية الضئيلة دخلوا مضمار الحرب المؤدي إلى الموت، قصداً إلى الانتصار أو الشهادة.(مكارم الشيرازي، ١٣٨٧، ج ٧، ص ٢٠٣).

(الحج/ ٥٣): « لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقاسِيَةِ قُلُوبُهُم»

إنّ مرضهم نتيجة القسوة في قلوبهم. (قراءتي، ١٣٨٣، ج ٨، ص٥٩).

(النور / ٥٠):« أَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتابُوا أَمْ يَخافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ رَسُولُهُ بَلْ أُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُون»

إنّ مرضهم ،انّما سببه هو نتيجة خلوّهم عن الإيمان والعقيدة. (قرائتي، ١٣٨٣، ج ٨، ص ١٩٩).

(الاحزاب / ١٢):« إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورا» إنّ مرضهم نتيجة تشكيكهم لميعاد الله وتحققه فعلاً.

(الاحزاب/ ٦٠ و ٣٢): « لَئِنْ لَمْ يَنتَهِ الْمُنَفِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يجُاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا »إنّ مرضهم هو نتيجة الطمع في النساء لدى معاملتهن

. (هذا المرض ياتي نتيجة هيمنة الغريزة الجنسيّة وكذلك الخضوع للمقاصد الجنسية والبيئات المسمومة، غير طاهرة). (مكارم الشيرازي، ١٣٨٧، ج ١٧، ص ٢٨٩).

(محّمد / ٢٠):« وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ لا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَ ذُكِرَ فِيهَا الْقِتالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلى لَهُم»

إنّ مرضهم ياتي نتيجة مخافتهم التي اعترتهم إبّان الإيذان بالجهاز للحرب وسماعهم لها.

(المدّثر/ ٣١):« وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكافِرُون»

إنّ مرضهم هو نتيجة حقدهم ومعاداتهم للايات الكريمة والشكّ فيها حقاً .(مكارم الشيرازي، ١٣٨٧، ج ٢٥، ص ٢٤١).

(محمّد/ ٢٩):« أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغانَهُم»

إنّما سبب مرضهم هو ضغينتهم الشديدة على النّبيّ والمؤمنين و يتحيّنون الفرص لأن يلحقوا بهم أضراراً فادحة.

ب- ولقد تعيّنت في هذه الآيات، نتيجة وجود هذه الأمراض في اصحابها عدة نتائج هي :

(البقرة / ١٠) : «ولهم عذابٌ أليمٌ» : و ينتظرهم عقاب شديد.

- المائدة/٥٢: « فَيُصْبِحُوا عَلى ما أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نادِمِينَ » : فندموا على ما كان في قلوبهم من الخفايا.
- التّوبه/ ١٢٥: «فزادَتْهُم رِجْساً إلى رِجْسِهِمْ وماتوا وهمْ كافِرونَ»: والله اضاف إلى خبثهم خبثا و ماتوا كافرين .
- الحج/ ٥٣: وانَّ الظّالمِينَ لَفي شفاقٍ بَعيدٍ. » والحقيقة إنّ الظالمين هم في شقاوة كبرى ممّا لا يتيسّر لهم النجاة .
- النّور/ ٥٠: «أولئِك هم الظالمِونَ»: إنّهم هم المضطهدون والظالمون.
- الأحزاب/٦٠:« لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا»: إذا لم يترك المنافقون فعلهم، فيا ايها النّبيّ ! نحثّك عليهم . على هذا، لايمكنهم البقاء عندك، في هذه المدينة، إلا قليلاً ».

- محمد/٢٠:«رَأَيْتَ الّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىَ لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ اللّهَ لَكَانَ خَيْراً لّهُم»

: تشاهد المنافقين المرضى ناظرين إليك كمن هم على وشك الممات. فالموت أليق وأولى لهم طبعاً.

ج- لقد أتى "المرض" في هذه الآيات كلّها (بناء على ما ذُكر) للأمراض التي ترتبط بالقلب والروح وهذا الأمر مصدّق به لدى المفسرين تصديقاً.(طبرسي، ١٣٦٣، ج ١، ص ٧٣- الحسيني شاه آبادي، ١٣٦٣ش، ج ١، ص ٦٨، -فيض الكاشاني، ١٤١٥ق، ج١، ص ٩٦- مكارم الشيرازي، ١٣٨٧، ج١، ص ٩٤ – قراءتي، ١٣٨٣ش، ص ٥٥ راجع الاية ١٠ من سورة البقرة).

٣- مقارنة النوعين من المرض:

يبدو لنا أنّ الله تعالى- على الرغم من أنّه يُعدّ النوعين مرضا- إلا أنّه له نظرة متفاوتة بالنسبة لهما. هذا الأمر واضح من بادئ الأمر والّذي تجدر إلاشاره اليه هو أنّ الله نظر اليها نظرة متفاوتة. فإنّ القسم الاول يشير- بالمريض- والثاني – بالمرض- إلى المرض. لم يذكر سبب المرض في القسم الأول، إلا أنّه ذكر في الثاني منه، معبّراً فيه عن الاسباب والعلل.

القسم الأول من هذه الآيات ينظر إلى الأشخاص السالمين نظرة لطيفة وأولئك هم الّذين يقعون موضعاً للعناية والاهتمام من جانب الله تعالى . والحكم الّذي يجري عليهم أخف من الآخرين. إلا أنّ القسم الثاني منها يبشرهم بعذاب عليم، فضلاً عن يعين لهم تخفيضاً في الحكم.

ولكن الان حان الوقت أن نأتي بما ورد في هذه الآيات من الاحكام الكليّة في معاملة هذه الأمراض، ليتبين لنا مدى ما يكون لله تعالى من الألطاف والكرامات لهؤلاء المرضى.

أ- الاحاديث التي ذكرت فيما يتعلق بالحكمة و سر هذه الأمراض: من أهم فوائد المرض هو دوره البناء في الحياة . حيث قال النّبيّ الأكرم في هذا المجال : « وَ قَالَ ع إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ الدَّرَجَةُ عِنْدَ اللَّهِ لَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلِهِ حَتَّى يُبْتَلَى بِبَلَاءٍ فِي جِسْمِهِ فَيَبْلُغُهَا بِذَلِك». (الراوندي، ١٤٠٧ق، ص ١٧٢، ح ٤٨٣). على هذا، فممّا يكون في الأمراض من المصلحة والحكمة، هو استكمال الانسان و زيادة المصلحين والنسّاك درجة.

ب- الاحاديث التي ذكرت للجزاء أو كفارة للذنوب.

قال النّبيّ ص:« الأَمراضُ هَدايا مِنَ اللّهِ عز و جل لِلعَبدِ ، فَأَحَبُّ العِبادِ إلَى اللّهِ أكثَرُهُم هَدِيَّةً ».(الفردوس، ج١، ص ١٢٣ح ٤٢٢). ثُمَّ قَالَ ص- لِسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَحْمَةُ اللَّهُ عَلَيْهِ يَا سَلْمَانُ إِنَّ لَكَ فِي عِلَّتِكَ إِذَا اعْتَلَلْتَ ثَلَاثَ خِصَالٍ أَنْتَ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى بِذِكْرٍ وَ

دُعَاؤُكَ فِيهَا مُسْتَجَابٌ وَ لَا تَدَعُ الْعِلَّةُ عَلَيْكَ ذَنْباً إِلَّا حَطَّتْهُ مَتَّعَكَ اللَّهُ بِالْعَافِيَةِ إِلَى انْقِضَاءِ أَجَلِك (صدوق، ١٤٠٤ق، ج ٤، ص ٣٧٥ح ٥٧٦٢).

لذلك الشخص المريض محبوب لدى الله، حيث يقول النّبيّ في هذه المناسبة: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُبْتَلَى فِي جَسَدِهِ إِلَّا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ اكْتُبُوا لِعَبْدِي أَفْضَلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي صِحَّتِه» (مجلسي ، ١٤٠٣ ق، ج ٧٨ ،ص ١٨٣،ح ٣٣). و كذلك يعبّر، في هذه المناسبة، عن اربع صفات للمريض : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِلْمَرِيضِ أَرْبَعُ خِصَالٍ يُرْفَعُ عَنْهُ الْقَلَمُ وَ يَأْمُرُ اللَّهُ الْمَلَكَ يَكْتُبُ لَهُ فَضْلًا كَانَ يَعْمَلُهُ فِي صِحَّتِهِ وَ يَتَّبَعُ مَرَضُهُ كُلَّ عُضْوٍ فِي جَسَدِهِ فَيَسْتَخْرِجُ ذُنُوبَهُ مِنْهُ فَإِنْ مَاتَ مَاتَ مَغْفُوراً لَهُ وَ إِنْ عَاشَ عَاشَ مَغْفُوراً لَهُ.».(صدوق، ١٣٨٧ش، ص ٢٣٠، ح١).

من الطبيعي أنّ أعظم جزاء المريض هو نتيجة صبره ودعائه لله تعالى. قَالَ عَلِيٌّ ع« يَا سَلْمَانُ لَكُمُ الْأَجْرُ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ وَ التَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ وَ الدُّعَاءِ لَهُ بِهِمَا تُكْتَبُ لَكُمُ الْحَسَنَاتُ وَ تُرْفَعُ لَكُمُ الدَّرَجَاتُ فَأَمَّا الْوَجَعُ خَاصَّةً فَهُوَ تَطْهِيرٌ وَ كَفَّارَةٌ.» (عبدالله بن البسطام، ١٣٨٢ش، ص ١٥).

ج- الاحاديث التي أتت للتعامل مع المريض

- كتمان المرض: لقد قال الامام جعفر الصادق في هذا الصدد: « قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع مَنْ مَرِضَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَكَتَمَهُ وَ لَمْ يُخْبِرْ بِهِ أَحَداً أَبْدَلَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لَهُ لَحْماً خَيْراً مِنْ لَحْمِهِ وَ دَماً خَيْراً مِنْ دَمِهِ وَ بَشَرَةً خَيْراً مِنْ بَشَرَتِهِ وَ شَعْراً خَيْراً مِنْ شَعْرِهِ قَالَ قُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ وَ كَيْفَ يُبْدِلُهُ قَالَ يُبْدِلُهُ لَحْماً وَ دَماً وَ شَعْراً وَ بَشَرَةً لَمْ يُذْنِبْ فِيهَا.». (كليني ، ١٤١٣، ج ٣، ص ١١٦، ح ٦). والجدير بالذكر، المقصود من الكتمان هو عدم الصّراخ لا عدم المراجعة للطبيب.

- إظهار المرض لدى الطبيب:« قال علي عليه السلام: من كتم الأطبّاء مرضه خان بدنه» .(الآمدي، ١٣٧٧ش، ح ٨٥٤٥).

-الصبر: لقد قال الرسول الأكرم(ص) : يُكْتَبُ أَنِينُ الْمَرِيضِ حَسَنَاتٍ مَا صَبَرَ فَإِنْ جَزِعَ كُتِبَ هَلُوعاً لَا أَجْرَ لَهُ.. (متقي هندي، ١٤٠٩ق، ج٣، ص ٣١١، ٦٧٠٦).

-الشكر والعرفان قال الامام الصادق(ع) في هذا المجال : « مَنِ اشْتَكَى لَيْلَةً فَقَبِلَهَا بِقَبُولِهَا وَ أَدَّى إِلَى اللَّهِ شُكْرَهَا كَانَتْ كَعِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً قَالَ أَبِي فَقُلْتُ لَهُ مَا قَبُولُهَا قَالَ يَصْبِرُ عَلَيْهَا وَ لَا يُخْبِرُ بِمَا كَانَ فِيهَا فَإِذَا أَصْبَحَ حَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا كَانَ.». (كليني ، ١٤١٣ق، ج٣، ص ١١٦، ح٥).

–تصدق: قال النّبيّ الأكرم(ص): «دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَ ادْفَعُوا الْبَلَاءَ بِالدُّعَاء »(متقي، الهندي، ١٤٠٩ق، ج١٠، ٢٨١٨٢).

د– الأحاديث التى أتت لنفس المريض:

تمريض المريض: قال الرسول الأكرم(ص) في هذا السّياق: « وَ مَنْ قَامَ عَلَى مَرِيضٍ يَوْماً وَ لَيْلَةً بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَعَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ع فَجَازَ عَلَى الصِّرَاطِ كَالْبَرْقِ اللَّامِعِ» (صدوق، ١٣٨٧ش، ص ٣٤١).

العيادة أو الزيارة من المريض: قال الامام على (ع) في هذا الصدد: «مِنْ أَحْسَنِ الْحَسَنَاتِ عِيَادَةُ الْمَرْضَى وَ مُسَاعَدَةُ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْعُطَاسِ إِجَابَةً.» (الطبراني، ج ٢٢، ص ٣٣٦، ح ٨٤٣).

–الشفقة والمودة مع المريض : قال النّبيّ الأكرم في هذه المناسبة: « إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى الْمَرِيضِ فَنَفِّسُوا لَهُ فِي الْأَجَلِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ شَيْئاً وَ هُوَ يُطَيِّبُ النَّفْس» (متقي الهندي، ١٤٠٩ق، ج ٩، ص ٩١، ح ٢٥١٢٤).

–التماس الدعاء: قال النّبيّ الأكرم(ص) في هذا المجال: « إذا دَخَلتَ عَلى مَريضٍ فَمُرهُ أن يَدعُوَ لَكَ ؛ فَإِنَّ دُعاءَهُ كَدُعاءِ المَلائِكَةِ .». (القزويني، ١٤١٣، ج١، ٤٦٢، ح ١٤٤١).

–عدم التناول لدى المريض: قال الامام علي (ع): «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ يَأْكُلَ الْعَائِدُ عِنْدَ الْعَلِيلِ فَيُحْبِطُ اللَّهُ أَجْرَ عِيَادَتِهِ»(المجلسي، ١٤١٣ق، ج، ٨١، ٢٢٨، ح ٤١).

–عدم إزعاج المريض: قال النّبيّ الأكرم : «أفضَلُ العِيادَةِ أجرا ، سُرعَةُ القِيامِ مِن عِندِ المَريضِ».

كلّ ما ذُكر آنفاً يعبّر لنا عن التعامل اللطيف مع هؤلاء المرضى. في حين أننا نواجه في القسم الثاني عكس ما جرى على الأول، وهو معاملتهم يأتي مقروناً ومصحوباً بالغضب من الله عزّ وجلّ.

نواجه فيما درسنا لهذين النوعين من المرض أسئلة منها:

١– ما هو التشابه بين هذين القسمين من المرض، والّذي جعل الله كليهما مرضاً ؟
٢– على اساس ما قمنا به من إبراز التفاوت بين القسمين، أيّهما له الاسبقية أكثر من الناحية العلاجية؟

الإجابة: إنّ التشابه الموجود بين القسَمين توضحه الروايات أكثر. كما أنّنا نمتلك التعريف المتعلق بالقسمين في الأحاديث. وفي حديث للإمام علي (ع) أنّه يعدّ المرض المتعلق بالجسم، حبس البدن (الليثي الواسطي، ١٣٦٧ش، ص ٣٨، ح ٨٢). إلا أنّه لمّا أراد أن يعرف المرض المتعلق بالروح والنفس، لقد عرفه بحبَس الروح.(الآمديّ، ١٣٧٧ش، ح ٦٨١٥). على هذا الاساس، نلاحظ أنّه لقد استخدم في تعريف كلّ من القسمين، بالحبس أو المحبس. وهذا يشعرنا بأنّ لكليهما قدرة مناعة، واحد يمنع الجسم من النشاطة والآخر يمنع الروح من الإفاضة. قال العلّامة الطباطبايّ– في تفسير الميزان– في هذا المجال جميلاً: لقد اعتبر الله تعالى عادة مرض القلب مثلما يكون في الأمراض الجسمية، تقوى على الفرد تدريجيّاً وإذا لم يتمَّ علاجها فتتفاقم و توديّ بحياة المريض أخيراً. الجدير بالذكر أنّ تفاقمه هو نتيجة عدم مراعاة الحميّة وهذه الحمية، في الأمراض القلبيّة، هو في الواقع الارتكاب بالمعاصي. (الطّباطبايّي، ١٣٨٥ش، ج ٥،ص ٦٢٢) .

ففي كل من النوعين يطرأ على الانسان عامل، قد يؤثر في جسم الانسان وقد يصل إلى حدّ، يمكنه النفوذ من الجلد مستهدفاً القلب والروح . لكنّ المهم هنا، أنّ أيهما أكثر لدى الله عناية بالعلاج، حسب ما جاء في القرآن الكريم. وبكلمة أخرى من هو المريض الحقيقيّ؟

في ضوء ما تقدّم، يمكن القول بأنّ الأمراض المتعلقة بالروح أو الجسم لها أهميّة أكثر ومن ثمّ تتطلب عناية خاصة وفائقة. يقول العلاّمة الطّباطبايّ في تعريف هذه الأمراض: «إنّ مرض القلب عبارة عن الشكّ والتردد الّذي يهيمن على الوعى البشريّ، ممّا يتعلق بالله تعالى. ولا يدع القلب أن يتصل بالمعارف– أى العقائد الدينيّة– عليه، فإنّ المرضى هم الّذين ضعف إيمانهم، هم الّذين قلوبهم كقشة يلعب به النسيم ويتأرجح بين حين وآخر.(الطّباطبايّ، ١٣٨٥ش، ج ٥ ص٦٢١). كما رأينا، هذه الأمراض، كالأمراض الجسميّة، لها علامات ودلالات وهناك أيضاً دوافع سببت هذه الأمراض. لكن المهم أنّ كلّ فرد مسلم له وظيفة فى تعرّف دلالات هذه الأمراض من ثم تعرّف نفسه، ليتيح له فرصة علاجها في النظرة الأولى؛ لأنّه إذا تهاوننا فى هذا المجال، فجعل المرض الروحيّ والجسميّ تشتد قوتهما فينا وهذا يسبب قساوة القلب وفساده، إلى أن ينتهي إلى المسخ وممات القلب. ومن أهم أعراض هذه الأمراض أن يصبح العقل ضعيفا وتنهدم القوى العقليّة. وعلى اثره، يترعرع، الكبر والهوان والنرجسيّة والمفارقة، شيئاً فشيئاً، في كلام الفرد ونطقه ويأخذ بالشّدّة.

على هذا، من الواضح الجليّ، أن نأخذ الدقّة مصحوبة بالحيطة والحذر في هذا المجال. إذ أنّ الكثير من عامّة الناس قلقون كثيراً على الأمراض الجسميّة ويحاولون كثيراً لقيام بعلاجها

علاجاً قاطعاً. وينبغي على الجميع المعرفة بأنّ عدم الإشارة إلى الأمراض الجسميّة والروحيّة في القرآن الكريم، ليس دليلاً على أنّها عديمة الأهمية، غير أنّ الإنسان لمّا شعر بألم أو ضرر فيسعى إلى معالجته. وبالنسبة للأمراض الباطنة، إما أنّه لا يعرفه وإما أنّه لا يأخذه بعين الاعتبار، لذلك جعل القرآن الكريم– كذلك الرّوايات– لها أهميّة قصوى واعتبر خطرها أكثر من الأمراض الجسميّة. بناء على ذلك، فما لا يعرفه إلانسان أو لاينتبه إليه هو حسد تسرب في قلبه. يقول الامام على (ع) في هذا الصدد: هو أسوأ الأمراض (الآمدي، ١٣٧٧ش، ح ٦٨١٥). أو استلاء وهيمنة شهوة تمنعه من السّموّ والتّعالى في السماء، على ما قاله النّبيّ. (محمّد ري شهري، ١٣٨١ش، ح٢١٤٧٣).

كما يقول واحد من مفسرينا الكبار في هذا المجال : لمّا تقلقون على رقيّ وتطور الآخرين هذا يعتبر نفسه مرضاً والواجب القيام بعلاجه بأسرع ما يمكن. فالغيبة، والكذب، وإساءة الظّن، هذه كلّها أمراض خطرة تشغل بال إلانسان وتمنعه من السّمو والتعالى. فعلى كلّ شخص التحليّ بمكارم الاخلاق للائمة المعصومين ليصون من ضربات هذه الأمراض القاضية. هناك أشياء تنطبق على أبديّتنا. لو عرفنا أنّ الموت هو بداية الطريق، فالخطوة الأولى الانسلاخ من الجلد والطيران متعالياً، من ارتقي واستكمل نشكر عليه الله تعالى، لأنّ الله يعطينا أياه ايضاً. (جوادي الاملى، fordunews.com: ١١جولاى ٢٠١١).

على هذا فإنّ الأمراض المتعلقة بالجسم لها أهميّتها ومكانتها الآئقة بها. ولقد بيّنا هذا الأمر– استناداً إلى بعض الاحاديث المتعلقة بكيفيّة معاملة مع الأمراض الجسميّة – وكذلك روايات أخرى، لا تحصى، التى أتت في هذا المجال، ومن هنا نفهم – الاحاديث الطبيّة– لكن المهم أنّ الله لقد جعل سعادة إلانسان رهيناً بالسّلامة والطّهارة من الأمراض القلبيّة وعدّ الهلاكة والعقاب ناتجة عن الابتلاء والإصابة بها كلّها.

الخاتمة:

في ضوء ما تقدم آنفاً، نتوصّل إلى هذه النتائج:

١. يوجد نوعان من المرض في الآيات القرآنية عندما نقارنهما معاً نصل إلى أنّ النوع الأول يشير إلى المريض (وأولئك هم الّذين يقعون موضعاً للعناية والاهتمام من جانب الله تعالى والحكم الّذي يجري عليهم أخف من الآخرين) و النوع الثاني يشير إلى المرض (منها يبشرهم بعذاب عليم، فضلاً عن يعين لهم تخفيضاً في الحكم). ولكنه لم يذكر سبب المرض في القسم الأول، إلا أنّه ذكر في

الثاني منه، معبّراً فيه عن الاسباب والعلل. النوع الأول يمنع الجسم من النشاطة والآخر يمنع الروح من إلافاضة.

٢. في كل من النوعين يطرأ على الانسان عامل، قد يؤثر في جسم الانسان وقد يصل إلى حدّ، يمكنه النفوذ من الجلد مستهدفاً القلب والروح .

٣– من الآيات الثلاث والعشرين المشيرة إلى المرض. تتعلّق ثلاث عشرة منها بمرض القلب والروح والأخرى تشير إلى الجسم والبدن.

٤– إنّ التعبير عن العلة في الأمراض المعنيّة بالقلب والروح، ذلك ينمّ عن العناية الفائقة بعلاجه، لأنّ فيه الحصول على العلة و بالتالي القيام بعلاجها، ينتهي بالمريض إلى المداواة والشفاء.

٤– والله تعالى ينظر إلى القسم الأول من المرضى بنظرة رحيمة ومقرونة بالغفران والتودد ، إلا أنّه ينظر إلى الثاني من المرضى بنظرة غاضبة مقرونة بالتوبيخ والتأنيب. هذا يقتضى كونها مهمة و من ثم القيام بعلاجها بأسرع ما يمكن، لأنّ المرض الروحيّ أو النفسيّ أو الذى يسبب الشك والتردد في الإنسان و لا يدع القلب يتعرف على المعارف الدينيّة ثم يقوم بها، يحول مصير الإنسان من السعادة إلى الشقاوة ويؤدّي أن يتحمّل الإنسان آلام كثيرة في حياته بشكل عام.

المصادر :

١- القرآن الكريم، ترجمة مكارم الشيرازي.

٢- الآمدي، عبدالواحد بن محمد، غرر الحكم و درر الكلم، ت. محمد علي الانصاري، قم، دارالكتاب، ١٣٧٧ش.

٣- الحسيني شاه عبد العظمى، الحسين بن احمد، تفسير اثنى عشري، دار ميقات للنشر، طهران، ١٣٦٣ش.

٤- الراوندي، قطب الدين، الدعوات، مدرسة الامام المهدي (عليه السلام)، قم ، ١٤٠٧ق.

٥- صدوق، ابن بابويه، ثواب الاعمال و عقاب الاعمال ، ت، الصادق حسن زاده، دار النشر لفكرآوران، قم، ١٣٨٧ش.

٦- صدوق، ابن بابويه، الفقيه من لا يحضره الفقيه، الطبعة الثالثة، قم، جامعة المدرسين، ١٤٠٤ق.

٧- الطبراني، سليمان بن محمد، المعجم الكبير، دار احياء التراث العربية، القاهرة.

٨- الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار فراهاني للنشر، طهران، ١٣٦٠ش.

٩- عبدالله بن البسطام، طب الائمة(نسخ الشفى من ائمة الهدى عليهما السلام)، ت.جابر الرضواني، قم، نور الزهراء، (س)، ١٣٨٢.

١٠- عروسي الحويزي، العبد علي بن الجمعة، ١٣٨ ش، تفسير نور الثقلين، الطبعة الرابعة ، قم، اسماعيليان، ١٣٧٠ش.

١١- العلامة الطباطبايي، السيد محمد الحسين، ١٣٨٥ش، تفسير الميزان، محمد باقر الموسوي الهمذاني، مكتب النشر الاسلامي.

١٢- ١١ July ٢٠١١، تأريخ التسجيل ٢٠تموز ١٣٩٠، وكالة الانباء التحليلي لمحافظة قم، fordunews.com

١٣- فيض الكاشاني، ملا الحسن، تفسير الصافي، دارالصدر للنشر، طهران، ١٤١٥ق.

١٤- قرائتي، محسن، تفسير النور، طهران، المركز الثقافي للدروس قرآنية، ١٣٨٣ش.

١٥- القزويني، محمد بن يزيد، السنن لابن ماجة، دارالفكر، بيروت.

١٦- كليني، محمد بن يعقوب، كافي، الطبعة الثانية، طهران، دارالكتب الاسلامية،١٤١٣ق.

١٧- الليثي الواسطي، كافي الدين، عيون الحكم والمواعظ، قم، دارالحديث، ١٣٧٦ش.

١٨- متقي الهندي، علاء الدين، المرشد إلى كنز العمال في سنن للاقوال والافعال ، الطبعة الثالثة، بيروت، موسسة الرسالة، ١٤٠٩ق.

١٩- محمدي الري شهري، محمد، ميزان الحكمة، ت. حميد رضا الشيخي، الطبعة الثالثة، قم، دار الحديث، ١٣٨١ش.

٢٠- محمدي الري شهري، محمد، الموسوعة للاحاديث الطبية، ت. الدكتور الحسين الصابري، الطبعة الثالثة، قم، دارالحديث، ١٣٨٤ش.

٢١- المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، الطبعة الثالثة، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٣ق.

٢٢- مكارم الشيرازي، الناصر، تفسير نمونه، دارالقدس للنشر، ١٣٨٧ش.